



جامعة  
المنصورة  
كلية الآداب

—

## الوظيفة التكاملية للصراع عند لويس كوزر

إعداد

الدكتور / السويحلي الهادي صالح داعوب

مدرس بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب- جامعة الزاوية (ليبيا)

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة

العدد الثالث و الخمسون - أغسطس ٢٠١٣

## الوظيفة التكاملية للصراع عند لويس كوزر

د.السويطي الهادي صالح داعوب

مدخل عام البحث :

لقد كان للتجارب الإنسانية في كفاحها من أجل حياة أفضل أثره الواضح في صياغة العديد من النظريات ومن ذلك نظريات الصراع.

ولعل الهدف الرئيسي لتلك النظريات هو الوصول إلى جملة من الآليات التي تكفل تجنب الاضطرابات في المجتمع وتعمل على تحقيق الاستقرار فيه ، نتيجة لتعرضه للعديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ضمن هذا السياق يتناول هذا البحث دراسة وتحليل نظريات الصراع الغربية من خلال اعتماد نموذج يعرض نظرية الصراع عند كوزر .

ولتوضيح تلك الظاهرة في سياقها الصحيح تعين على الباحث بدايةً تحديد مفهوم الصراع عند كوزر من خلال نظريته للصراع في إطار دوره الوظيفي الإيجابي، حيث نجده يقرر أن الصراع يزيد أكثر من أن ينقص عملية التوافق في المجتمع ، وإن عملية التغير تتم كنتيجة لهذه الظاهرة فقط.

أما العنصر الآخر في نظريته فهو استخدام الصراع كصمام أمان للمجتمع وذلك من خلال تخفيف مشاعر التوتر والقلق ، حيث تبرز هذه الصمامات كآلية مهمة في المحافظة على البناء الاجتماعي من خلال تصريف الصراعات في اتجاهات مختلفة وتوظيف هذه الصراعات لصالح المجتمع الرأسمالي .

أولاً- الوظيفة التكاملية للصراع في إطار عملية التغيير الاجتماعي.

إن أهم وأبرز ما يطرحه كوزر في نظريته حول الصراع هو تركيزه على الوظيفة التكاملية لتلك الظاهرة في سياق عملية التغيير الاجتماعي ، ولذا سيتم فيما يلي التركيز على تلك المسألة وأهم الانتقادات التي يمكن توجيهها له بهذا الصدد.

ترتبط فكرة الصراع عند لويس كوزر بمسألة التغيير الاجتماعي. حيث تبرز هذه المسألة في إطار فكرة النضال من أجل إشباع الحاجات<sup>(١)</sup>.

وعليه تقتضي متطلبات البحث التعرف على كل من مفهوم الصراع وعلاقته بعملية التغيير الاجتماعي.

وتعني فكرة النضال عند كوزر سعي الجماعات المتصارعة من أجل إشباع الحاجات سواء كانت قيم معينة أو المطالبة بمكانة نادرة في سبيل بلوغ السلطة وإعادة توزيع المصادر النادرة وقد لا يتوقف النضال عند هذا الحد ، بل يستمر ضمن إطار الصراع حتى يتم القضاء على أحد الأطراف<sup>(٢)</sup>.

يتمحور الصراع إذاً وفقاً لهذه النظرة حول أهداف المشاركين في الصراع والتي يمكن تحديدها من خلال العمل من أجل بلوغ وضع اقتصادي أو بهدف زيادة تحكمهم في بناء السلطة أو الوصول إلى المناصب العليا<sup>(٣)</sup>.

أي أن الصراع يظهر نتيجة للتمايز في الثقافة والمستوى التعليمي والملكية وهذا يعني أيضاً أن للصراع مجالات متعددة.

وفقاً لذلك تبرز فكرة النضال في إطار وعي أعضاء الجماعة بعدم إمكانية إشباع حاجاتهم وحرمانها من حقوقها المتعلقة بإعادة توزيع الثروة والسلطة والقوة. وهنا يمكن أن نستنتج أن فكرة النضال مرتبطة بوعي الجماعة بمصلحتها وبسعيها لإشباع حاجتها ، أي أن عدم المساواة في المصادر النادرة أسهمت في بلورة الوعي عند الجماعات المتصارعة ، حيث تحاول فيه كل جماعة تحقيق مصالحها من خلال النضال<sup>(١)</sup>.

بناء على ما سبق يمكن أن نبين معنى الصراع وتحديد مفهومه عند كوزر وذلك من خلال الإشارة إلى أهم خصائصه.

الخاصية الأولى للصراع هو أنه يشمل كل الظواهر التي تتسم بالتفاوت في امتلاك المصادر النادرة (السلطة ، الثروة، القوة...) مما يولد صدام المصالح بين الذي يملك والذي لا يملك<sup>(٢)</sup>.

حيث يقول في هذا السياق : " بأنه صراع حول القيم والمكانة والقوة والموارد النادرة مما جعل أهداف الجماعات المتصارعة ليس فقط كسب القيم المطلوبة بل تحديد المنافسين أيضاً والتخلص منهم"<sup>(٣)</sup>.

بناء على هذا التصور الذي يطرحه فإن الصراع يعني كل حالات النضال من أجل إعادة توزيع القوى بين الجماعات والتنظيمات متعارضة المصالح.

أما الخاصية الثانية للصراع فهي إمكانية أن يكون الصراع مستتراً ومتراكماً لا يظهر على السطح مثل ما يحدث في الجماعات المغلقة أو أن يكون ظاهرياً مثلما يحدث في المجتمعات المفتوحة<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من هذه الفكرة فإن الصراع يمكن أن يكون ظاهراً ومستتراً وبالتالي فإن تعارض المصالح وعدم توافق الأهداف يمكن أن يتخذ شكل ظاهرياً أو مستتراً.

أما الخاصية الثالثة للصراع فهي ثنائية الأطراف أي أن الثنائية يمكن أن تشمل صراع جماعة فرعية مع جماعة فرعية أخرى أو تعارض أهداف جماعة فرعية مع أهداف جماعة فرعية أخرى أو تعارض أهداف جماعة فرعية مع أهداف التنظيم العام. وقد تشمل الثنائية أكثر من مجموعتين في نضالهم مع مجموعة أخرى ، أو التنظيم العام<sup>(٢)</sup>.

والتساؤل هنا فيما إذا تشكل المجموعتان سبباً في الصراع ، أم نتيجة لذلك؟.

إن تكوين الجماعتين جاء بالأساس كنتيجة للصراع على اعتبار أن المصالح والتي تنشأ لأسباب ثقافية أو بسبب مستوى معيشي أو مكان أفرز بالضرورة رؤية واحدة وهي التي لعبت دور في تكوين الجماعة ومن ثم تتحرك هذه الأخيرة بأسلوب معين لتحقيق مصلحتها وأهدافها.

وفي سياق تركيز كوزر على عدم المساواة في توزيع المصادر النادرة كأساس للصراع وإغفال العديد من الجوانب الأخرى ، ينظر إلى إشكالية التمايز في ملكية هذه المصادر على اعتبار أن البعض يمتلك المصادر النادرة وانتفائها عند الطرف الآخر.

إن ما يركز عليه كوزر هنا إذاً هو أن الصراع يقتصر على إعادة توزيع المصادر النادرة كعامل وحيد للصراع. وعلى الجانب الآخر ينظر كوزر إلى فكرة إعادة توزيع المصادر النادرة داخل المجتمع من زاوية تقسيمه للمجتمع إلى مجموعتين من الأطراف مجموعة تملك المصادر النادرة ، الأخرى محرومة منها.

وفي الوقت الذي يعتبر فيه أن كلا المجموعتين تشكلان وحدة كلية نجده ينظر إليها كطرف نقيض<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من هذه الفكرة ينظر كوزر إلى عدم المساواة في امتلاك المصادر النادرة وتعارض مصالح تلك المجموعتين أو الطرفين باعتباره المولد للصراع. وهنا يبرز التصنيف القسري للمجتمع من خلال اختزاله للفئات المكونة للمجتمع في إطار طبقتين وحسب إحداهما مالكة للموارد النادرة والأخرى محرومة منها . على اعتبار أن المجتمع قد يشمل فئات مستقلة بعيداً عن هذا التصنيف.

وفي هذا السياق تبدو عند كوزر كافة أشكال التباين والتمييز في المكانة والدخل أو الملكية داخل الوحدة الاجتماعية كتعبير عن عدم حصول الوحدة الاجتماعية على المصادر النادرة. ويسلم كوزر في إطار هذه الفكرة "بوجود نزعة إنسانية سلبية متمثلة في استحواذ بعض الناس على الثروات والمصادر النادرة في المجتمع ، و تقود هذه النزعة السلبية لدى الناس إلى ظهور جماعة أخرى إيجابية تناضل من أجل استعادة توازن القوى والقضاء على عدم المساواة"<sup>(٢)</sup>.

إن الفكرة الجوهرية في عملية تحديد مصادر الصراع هي الانطلاق من العامل الاجتماعي القومي الذي ينعكس على البناء الاجتماعي ، وعلى العلاقات

الاجتماعية ، ويؤدي إلى تفجير الصراعات داخل المجتمع وينعكس ذلك بالضرورة على الواقع الاقتصادي والسياسي للمجتمع. وعلى الجانب الآخر ينظر كوزر إلى كافة أشكال التناقض والصراع باعتبارها آلية مهمة في تحقيق التغير الاجتماعي.

وانطلاقاً من هذه الرؤية الأحادية فإن الأزمات مثل العنف والتمرد والاضطرابات والمظاهرات باعتبارها فرصاً مناسبة لأحداث التغير في البناء الاجتماعي وهذا ما نلاحظه من خلال وصفه لوظائف العنف " الذي شبهه بالآلام التي يشعر بها الإنسان إذ أنه قد يستخدم باعتباره علامة خطر تسمح (للجسم الاجتماعي) أن يعيد التكيف مع نفسه"<sup>(١)</sup>.

كما يؤكد هذه الفكرة مرة أخرى عندما " حلل وظائف التمرد إذ نجده رفض تفسير التمرد باعتباره حالة من الوهن الفردي واعتبر أنه يمكن أن يفسر تفسيراً أعمق وأشمل باعتباره رد فعل لما يبدو أنه مرض في الجسم الاجتماعي (المجتمع)"<sup>(٢)</sup>.

بناء عليه فإن كل أشكال الاضطرابات والعنف داخل المجتمع لا تعتبر بنظره مرضاً اجتماعياً. أي أن هذه الظواهر لا تهدد الاستقرار والتكامل داخل البناء الاجتماعي في حالة توفر ظروف معينة (ممرات تسمح بتصريف الصراع) بل العكس من ذلك أن تلك الظواهر تعمل في نهاية المطاف على أحداث تغيير في البناء الاجتماعي.

وهنا يمكن أن نتساءل فيما إذا كان العنف شيء ضرورياً لتحقيق التكيف والتجانس في المجتمع وكذلك التمرد؟

بناء على تصور كوزر يبرز العنف والتمرد كمؤشر ضروري لتحقيق التكيف والتجانس داخل المجتمع. وهنا يمكن القول أن كل أشكال التناقض والصراع وفق هذا المفهوم لا تعيق تغير البناء الاجتماعي ولا تسبب دماراً له وإنما تعتبر تحت ظروف معينة عملية تساعد البناء الاجتماعي على التجانس.

وفي هذا السياق نجده يؤكد على ما يلي : "... تتوقف فائدة الصراع في تحقيق التكيف الداخلي على نمط المسائل المتصارع عليها ونمط البناء الاجتماعي الذي يظهر داخل الصراع"<sup>(١)</sup>.

وبالنظر إلى هذا النص نرى أن كوزر ينظر إلى أهمية الصراع في إطار دوره الوظيفي فيما يتعلق بالتغير الاجتماعي والذي يتمحور بالأساس حول شكل المواضيع التي يثار حولها الصراع ونوع البناء الاجتماعي باعتبارها حلقة مركزية في تحديد فائدة الصراع أي بمعنى أن الصراع الظاهر والمكشوف (المنظم) يسهم في ظروف معينة ولا سيما في نوع البناء الذي يسمح بتكرار الصراع أو المواضيع التي يثار حولها الصراع والتي لا تقوم عليها شرعية النسق وبالتالي توجد إمكانية تحقيق التغير الاجتماعي بأساليب تدعم التوافق والتكامل من خلال بلورة معايير أو قاعدة أو مستوى سلوكي تعتبر ملائمة من وجهة نظر المجتمع أو قد يقتصر الصراع على إحياء وتنشيط هذه المعايير وهو ما نلاحظه في هذا الاقتباس " كلما قل جمود النسق ازداد احتمال توليد لمعايير جديدة" ، " كلما قل جمود النسق ازداد احتمال إحياء الصراع للمعايير الموجودة"<sup>(٢)</sup>.



وعلى الجانب الآخر نجد ينظر إلى الصراع الخفي أو المستتر (المكبوت) باعتباره لا يقوم بهذه الوظيفة وبالتحديد في عملية التغير الاجتماعي وحركة التاريخ إجمالاً.

بينما نجده يربط بين شدة الصراع وزيادة التماسك البنائي والأيدولوجي بين أعضاء كل طرف من أطرافه<sup>(١)</sup>.

وهنا يستبعد كوزر أي عملية أخرى سلمية ممكن أن تعزز هذا التماسك البنائي والأيدولوجي بل يرده إلى الصراع كعامل وحيد ، وهذا يعني أننا لو أردنا تدعيم الأفكار والعقائد لدى الناس فما علينا إلا أن نبحث عن الصراع لكي يحقق هذه الوظيفة.

وهنا يمكن أن نتساءل هل تتعدم فعالية التفكير لدى الإنسان حتى نلتجئ لهذه الوسيلة؟

مما لا شك فيه أن إرادة الإنسان في تحقيق هذا التماسك تعتبر حجر الزاوية في عملية التغير إجمالاً.

أن كوزر يتبنى فكرة التطور المستمر للمجتمعات الإنسانية من خلال ظاهرة الصراع وحسب وذلك من خلال إقراره بأن طبيعة ونوعية تغير النظام تحدد بالطريقة والأسلوب الذي تحل به الصراعات في النظام الاجتماعي القائم<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا الأساس يبدو الصراع عند هذا العالم كظاهرة حتمية ، حيث يرى أنه لا بد للمجتمع أن يمر بحالة من الصراع والتصادم في المصالح قبل أن يصل إلى حالة التوازن بين أنساقه<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من هذه الفكرة فكأن كوزر يري أن تحقيق التوازن داخل المجتمع لا بد أن يقترن بالصراع كآلية وحيدة لتحقيق ذلك ، على اعتبار أن الصراع شيء عادي ومألوف ولا يمثل بوجهة نظره خطراً على البناء الاجتماعي ، بل إن الخطر يكمن وفقاً لرأيه في عدم وجود ممرات تسمح بالتعبير عن مشاعر الغضب والتوتر داخل المجتمع حيث يؤكد ذلك بقوله: " إن أهم ما يهدد توازن البناء ليس هو الصراع في حد ذاته ، بل ما يكشف عنه البناء من جمود وصلابة..."<sup>(٢)</sup>. كما يضيف " إن الجسم الاجتماعي (المجتمع) يفجر الصراع أحياناً لإشباع حاجاته إلى التكامل"<sup>(٣)</sup>.

وهنا نستنتج أن التغيير عند هذا العالم يتحدد على ضوء الوظيفة التكاملية للصراع والحلقة المركزية التي يتمحور حولها التغيير الاجتماعي من حيث طابعه وجوهره إذاً هي الوظيفة الإيجابية التي ينبغي أن يقوم بها الصراع.

والصراع وفقاً لهذه النظرة يشكل العامل الأساسي والوحيد للتغيير الاجتماعي على اعتبار أنه يشكل الآلية الوحيدة للقيام بالدور الإيجابي في سياق تحقيق التكامل في المجتمع.

والسؤال الذي يمكن طرحه هو إلى أي حد يمكن اعتبار الصراع شرطاً أساسياً لتحقيق التوازن في المجتمع وهل يمكن القول أن الصراع هو العامل الوحيد للقيام بوظيفة التكامل والتوافق؟.

وعلى صعيد آخر يرى كوزر أن تباين أنماط الحراك الاجتماعي من بناء اجتماعي لآخر إنما يعود بالأساس للتباين في البناء الاجتماعي الذي يسمح بالتعبير عن الصراع أو تنظيم الصراع ومدى تقبله أو مقاومته ودرجة ترابط الجماعات فيما بينها ، ودوره في تحديد الآثار التي ينتج عنها الصراع<sup>(١)</sup>.

إن كوزر يرجع هنا بشكل مطلق الاختلاف في شكل الحراك الاجتماعي من بناء لآخر بالضرورة إلى وجود قنوات داخل البناء تسمح بتوجيه الصراع في اتجاهات متعددة من خلال قنوات التعبير عن الظلم بغرض التخفيف من شدته ومن ثم تحقيق الأهداف الإيجابية داخل المجتمع.

وفي سياق تحديده لأهمية الصراع في تحقيق التجانس داخل المجتمع يقول: " ... يساهم الصراع داخل المجتمع في إقامة الوحدة والاتساق عندما تكون الجماعة مهددة بالمشاعر العدائية والمتعارضة بين أعضائها وتتوقف فائدة الصراع على نمط المسائل المتصارع عليها ونمط البناء الاجتماعي الذي يظهر داخله الصراع..."<sup>(٢)</sup>.

إن نظرة متمعنة إلى هذا النص تؤكد بشكل واضح أن الفكرة الرئيسية عند كوزر هي أن الصراع الاجتماعي يزيد أكثر من أن ينقص في التكيف والتوافق الاجتماعي.

والتساؤل المطروح هنا هو فيما إذا كانت الوحدة والأنساق داخل الجماعة لا تتم إلا بوجود الصراع؟

إن تصور كوزر حول تلك المسألة يركز إلى زاوية واحدة في تفسيره للتكيف داخل المجتمع بينما يغفل الجوانب الأخرى التي قد تقوم بهذه المهمة.

وفي سياق تحديد كوزر للصراع لوظيفة الصراع في المجتمعات ذات البناء المرن أي التي تسمح بالتعبير عن الصراع يقول: " ... تستطيع الأنساق الاجتماعية عندما تسمح بالتعبير المباشر عن الدعاوى المتصارعة أن تستعيد توافق بناءاتها وذلك عن طريق اقتلاع أسباب الفرقة، وتشيد الوحدة من جديد أن هذه الأنساق تستطيع من خلال إجازة الصراع وإعطائه الصفة النظامية أن تقيد بعضها البعض كميكانيزم للثبات والاستقرار"<sup>(١)</sup>.

إن تركيز كوزر هنا هو إذاً حول فائدة الصراع في المجتمع الذي يتضمن معايير تستوعب هذه الصراعات من خلال وجود بناء اجتماعي مرن يعمل على تصريفها في اتجاهات مختلفة مما يقود في نهاية المطاف إلى عملية التجانس والتوافق في المجتمع<sup>(٢)</sup>.

وهنا يبرز أن وجود هذه الممرات يشكل شرطاً أساسياً لتحقيق هذه الوظيفة الإيجابية ولذلك جاءت عملية التكيف في المجتمع مرتبطة بوجود هذه الممرات.

ولكن هل نتوقف مسألة تحقيق الاستقرار في المجتمع على عملية إجازة الصراع وإعطائه الصفة النظامية؟ .

مما لا شك فيه أن الاستقرار في المجتمع يكمن في القضاء على كافة أشكال التناقض والصراع من خلال تنظيم العلاقات الاجتماعية بطريقة تكفل تحقيق العدالة والمساواة للجميع.

وهنا يمكن القول أن كوزر يحاول الوصول إلى نظام اجتماعي يتحقق فيه الاستقرار والتوازن الذي يرتكز بالأساس على وظيفة الصراع الإيجابية في إنعاش وتنشيط المعايير السائدة إضافة إلى دور الصراع في إفراز وبلورة قاعدة أو مستوى سلوكي جديد يعتبر ملائم من جهة نظر المجتمع كضرورة حتمية لإعادة التناغم والتجانس في المجتمع، وبشكل مستمر وهذا يعمل بدوره في نهاية المطاف إلى إعادة توازن المصادر النادرة وإشباع الحاجات<sup>(١)</sup>.

وبكلمات أخرى يرى كوزر في الصراع عنصراً هاماً وأساسياً للقيام بوظيفة تخفيف العزلة الاجتماعية بين الجماعات المتصارعة حيث يعمل الصراع في المحصلة على بلورة وتشكيل علاقات مترابطة ومتوافقة بين تلك الجماعات التي كانت معزولة عن بعضها قبل حدوث الصراع<sup>(٢)</sup>.

وفقاً لذلك يحصر كوزر دور الصراع في شكل وسيلة لمعرفة واختبار ما كان مجهولاً من خلال إفراز وبلورة معايير أو قواعد للسلوك الاجتماعي وبذلك يقوم بمهمة التطبيع الاجتماعي<sup>(٣)</sup>.

كما ينظر إلى وظيفة الصراع في نشأة الجماعات وبلورتها وإبراز حدود واضحة للجماعة المشتركة في الصراع ، وينحصر دور الصراع في هذه الحالة في

إبراز وعي الجماعة بمصلحتها من خلال إدراك وتشخيص فئات خاصة من الناس لتشابه مصالحهم (الإحساس بالنوع).

وهو ما يؤكد بقوله " كلما ازدادت شدة الصراع ازداد وضوح معالم وحدود كل طرف من أطراف النزاع"<sup>(١)</sup>.

وبتعبير آخر يرى كوزر أن وعي الناس وتشابه مصالحهم يتم من خلال الصراع وحسب وبذلك تنتفي أي وسيلة أخرى قد تقوم بهذه الوظيفة.

بناء على ذلك تبرز النظرة الأحادية الجانب التي تتمحور بالأساس في تحديد هوية الجماعة بالرجوع للصراع كوسيلة وحيدة لتحديد تلك الهوية ، وإن سلمنا بهذه الفكرة فمعنى ذلك أننا أغفلنا بشكل صريح وواضح العوامل الأخرى التي قد تقوم بهذه المهمة.

إن هذا الأمر يفتح المجال للتساؤل عما إذا كان الصراع هو العامل الوحيد لعملية الإحساس بالنوع " نشأة الجماعات" ؟ .

وينفس الوقت الذي يبين فيه كوزر وظيفة الصراع في نشأة الجماعات ويلورتها نجده يؤكد على وظيفة الصراع الخارجي في زيادة التوافق والتجانس داخل الجماعة المشتركة في الصراع في مواجهة الجماعة الخارجية<sup>(٢)</sup>.

وهنا يبرز دور الصراع الخارجي في تقليص تلك الظاهرة إلى أقصى درجة ممكنة حتى لا يظهر فيؤثر على الجماعة ويعوق الجماعة عن تحقيق أهدافها.

وهنا يمكن أن نستنتج أن وظيفة الصراع الخارجي في كبت الصراعات الداخلية هي مرحلة مؤقتة فقط وأن الصراع المكبوت مع مرور الزمن ربما يشكل أكثر عنفاً.

وهذا ما يؤكد كوزر بنفسه حيث يقول: "كلما أدى الصراع بين الجماعات إلى التوافق بالقوة داخل الجماعة ازداد تراكم العدوات وازداد احتمال نشوب صراع داخل الجماعة نفسها على المدى البعيد"<sup>(١)</sup>.

على ضوء ما تقدم يمكن القول أن الصراع لا يشكل المصدر الوحيد في تحقيق التوافق والتجانس الداخلي على اعتبار أن كوزر أغفل وبشكل واضح دور العوامل الأخرى التي قد تلعب دوراً فعالاً في زيادة التناغم والتجانس داخل الجماعة ولا سيما مثلاً رغبة الأفراد في التعاون أو الرابطة الاجتماعية التي تمثل دافعاً كبيراً في تحقيق التوافق ، وبالمقابل نجده يقرر أن الصراع يظهر داخل الجماعة نفسها في شكل صدام للمصالح وقد يعمل على تخريب البناء الاجتماعي وتحطيمه عندما لا يستطيع البناء تصريف هذه النزاعات من خلال قنوات تسمح بالتعبير عن الظلم أو عندما يتعلق الصراع بمجموعة من القيم التي يقوم عليها شرعية النسق<sup>(٢)</sup>.

وهنا نستنتج أن وظيفة الصراع مرهونة فقط بمدى قدرة البناء على تصريف الصراع بالدرجة الأولى إضافة إلى نوع المسائل المتصارع عليها. وكأن الصراع في الحياة الاجتماعية شيء مألوف وعادي ولا يشكل خطورة ، وإنما الشيء الغير مألوف هو عدم وجود مثل هذه القنوات.

إجمالاً يمكن القول بأن كوزر أهتم بشكل مفرط بعملية توظيف الصراع إيجابياً والتحكم فيه دون التركيز على المصدر الأساسي للصراع أو معالجته والبحث عن مسبباته بل أهتم بالشكل الظاهري للصراع فقط، وما يحققه من وظيفة تكاملية داخل المجتمع وحسب.

ثانياً: البعد الأيدلوجي للصراع كصمام أمان لتناقضات المجتمعات الرأسمالية

سيتم التركيز في هذا البحث على البعد الأيديولوجي لفكرة الصراع وأهمية ذلك في خدمة الأنظمة الرأسمالية ، والذي يبرز بشكل رئيسي من خلال محاولته الحفاظ على الأوضاع القائمة في المجتمعات الرأسمالية باستخدام الصراع كصمام أمان لتناقضات تلك المجتمعات.

إن أول ما يمكن ملاحظته في نظرية كوزر هو ذلك البعد الأيديولوجي (النظرة الليبرالية المحضة) من خلال ربط كوزر لفائدة الصراع في تحقيق التماسك والتكيف للبناء الاجتماعي ككل بوجود قنوات تعمل على التخفيف من مشاعر الإحباط والتوتر وتحافظ على استمرار المجتمع وتطوره في نهاية المطاف كما تبرز تلك النظرة من خلال رؤيته للتنظيم الجمعي بصورة عامة والذي يرى أنه يتكون من وحدات غير متوازنة ومن خلال هذا التباين بين الوحدات المكونة للمجتمع يبرز الصراع في ظروف معينة<sup>(١)</sup>.

وهنا نستنتج وفق هذه النظرة أن عدم التوازن في بناء المجتمع الذي يعني بالضرورة عدم المساواة في المصادر النادرة هي شيء طبيعي أو هي شيء مألوف وعادي ولا يشكل خطورة على البناء الاجتماعي وإنما الخطورة التي تهدد البناء



الاجتماعي تكمن في عدم وجد ممرات تنفيس لمشاعر الغضب والتوتر التي يفرزها هذا التباين بين الوحدات المكونة للمجتمع وفي هذا الصدد يقول: " كلما قلت قنوات التعبير عن الظلم من توزيع الموارد النادرة تزايد احتمال التساؤل عن الشرعية"<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن كوزر لا ينظر للصراع باعتباره يشكل خطورة تهدد البناء الاجتماعي وإنما الخطورة تكمن في الظروف المتمثلة بعدم وجود ممرات تنفيس لهذه الصراعات.

وبتعبير آخر ينظر كوزر إلى ضرورة أن يتضمن البناء الاجتماعي هذه الممرات حيث يؤكد ذلك بقوله " أن أهم ما يهدد توازن البناء ليس هو الصراع في ذاته ، بل ما يكشف عنه البناء من جمود وصلابة ..."<sup>(٢)</sup>.

إن العنف والتمرد والإضراب ... الخ. وفقاً لذلك هو شيء مألوف وعادي ولا يشكل أي تهديد للبناء الاجتماعي في حالة وجود ممرات تنفيس لهذه الصراعات ، وتبرز هذه الممرات في شكل وسائل تكفل عملية التعبير عن الظلم.

وهنا يتضح أن كوزر يتجاهل الأسباب الحقيقية للصراع ويهتم فقط بعملية تصريف هذه النزاعات في شكل عملية تنفيس وحسب. حيث نجده يربط مرونة البناء الاجتماعي بوجود هذه الممرات التي تسمح بالتعبير عن الغضب والظلم والتوتر باعتبار أن هذه الممرات تمثل صمام أمان للمجتمع ، حيث يؤكد ذلك بقوله: " إن الأنساق تستطيع من خلال إجازة الصراع وإعطائه الصفة النظامية أن تقيد بعضها البعض كميكانيزم للثبات والاستقرار"<sup>(٣)</sup>. أي بمعنى أن الصراع المنظم والمقنن سوف

يسهم في قدرة النسق على التوافق والتجانس ، وأن الخطورة التي تهدد المجتمع وتعيقه عن التطور هي كبت هذه الصراعات وعدم وجود ممرات للتنفيس تسمح بالتعبير عن الظلم.

وفقاً لذلك يمكن القول أن أهم مدلولات هذه النظرة هو ما تتطوي عليه من بعد أيولوجي من خلال استخدام الصراع كصمام أمان لتناقضات المجتمعات الرأسمالية ، والنظر إلى تلك الظاهرة في إطار عملية ترميم تصدعات تلك المجتمعات. إن عملية التنفيس هذه هي في حقيقة الأمر نظرة رأسمالية محضة لا تسعى إلى سعادة الإنسان بقدر ما تسعى إلى منع القيام بثورة والمحافظة على الوضع القائم.

وبالمقابل نجد كوزر يرجع الصراع ذو الشكل العنيف والحاد إلى البناء الاجتماعي الذي يتميز بتفاعل اجتماعي كبير يركز على المشاعر والعواطف (المجتمعات القربانية أو البناء الاجتماعي المغلق) على اعتبار أن هذه الجماعات تمنع ظهور الصراع أي تتعدم فيها قنوات التعبير عن مشاعر التوتر والظلم وهذا بدوره يقود في نهاية المطاف إلى كبت وتراكم الصراع ، ولذلك عندما يظهر يكون شديداً ويهدد البناء الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

وهنا نجد كوزر يحاول أن يبين أهمية وجود صمامات الأمان في المجتمع حيث نجده يبرهن أن عدم وجودها يؤدي إلى زيادة شدة الصراع ومن ثم يعمل على تدمير البناء الاجتماعي.

وبالمقابل لا يمكن أن نحصر شدة الصراع في عدم وجود صمامات الأمان وحسب، على اعتبار أن شدة الصراع تتحدد بعوامل أخرى قد تكون بعيدة عن هذه القنوات أو الصمامات التي تحدث عنها كوزر. كما لا تتحصر شدة الصراع

بالعلاقات الأولية وحسب، وإنما هناك ظروف خارجية تعمل على إثارة لهب الصراع ولا سيما العلاقة مع الجماعات الأخرى إذا كانت سلبية أم إيجابية . وكذلك تتعلق بنوع المشاعر المرتبطة بهذه الظاهرة.

فإذا كان الصراع مرتبطاً بأشياء عقائدية يمكن أن تدفع الفرد بالتضحية وزيادة شدة الصراع ولا سيما ارتباط الإنسان بالوطن في نطاق العامل الاجتماعي القومي أو الديني فهو أكثر فعالية من عملية كبت الصراع التي تحدث عنها كوزر في تحديده لأهمية وجود ممرات للتخفيف من شدة الصراع.

فمن غير شك أن هذه متغيرات تعمل على زيادة شدة الصراع بغض النظر وجود قنوات تسمح بالتعبير عن الغضب أم لا ، وكذلك نجد كوزر يغفل عنصر مهم في زيادة شدة الصراع ولا سيما الوسيلة المستخدمة في الصراع فأحياناً تلعب الوسيلة دور مهم في إثارة لهب الصراع عندما يتعلق الأمر باستخدام السلاح على سبيل المثال فهذا يعني أن الصراع يأخذ شكلاً عنيفاً وحاداً، وبالمقابل نجده ينظر إلى المجتمعات التي توجد بها قنوات تسمح بالتعبير عن الظلم بأن الصراع يظهر بها الصراع بشكل ضعيف<sup>(١)</sup>. إن اهتمام كوزر هو تفسير الأشكال المتباينة من الصراع في مجتمعه وخصوصاً الصراع الاجتماعي والعنصري الذي يشهده المجتمع الأمريكي في ذلك الوقت أي تحليل تلك الحركات العنصرية ( العلاقة بين البيض والسود مثلاً) إضافة إلى الآثار السلبية الناتجة عن البيروقراطية والتحضر.

إن معاشة كوزر لذلك الوضع شكل دافعاً قوياً في معالجة تلك المشكلات. أي أن أفكار كوزر تأتي نتيجة لتفاعله مع تلك الأوضاع في مجتمعه الأمريكي وهذا ما نلاحظه في نظريته للتنظيم الجمعي إجمالاً بأنه يتكون من عناصر غير متوازنة أي

أنه يضم جماعات تتصارع فيما بينها بهدف الحصول على الموارد. وبالتالي كانت معالجته لتلك الأوضاع تهدف إلى خدمة الطبقة المسيطرة والمحافظة على الوضع القائم من خلال تطبيق الاتجاهات الإصلاحية وتطبيقه أفكار تقدمية تماشى مع القرن التاسع عشر (المجتمع الحديث)<sup>(١)</sup>.

وهنا يمكن القول أن فكرة وجود صمامات أمان في المجتمع والتي ينحصر دورها في إفراغ شحنات الغضب والتوتر والتعبير عن الظلم إجمالاً في شكل عملية تنفيس أو تخفيف لهذه المشاعر الناتجة من غياب العدالة الاجتماعية داخل النظام الرأسمالي بشكل عام تشكل استجابة لذلك الوضع من خلال ما تعنيه هذه الفكرة من ترميم لتصدعات الأنظمة الرأسمالية.

وما يمكن أن يتبادر للذهن هنا هو كيفية وصول الجماعات بالأساس إلى حالة الغضب والتوتر التي يتحدث عنها كوزر على اعتبار أن حالة الغضب والتوتر تمثل إجمالاً التعبير عن الظلم وهو في الواقع نتيجة للصراع حول إعادة توزيع المصادر النادرة وهو الأمر الذي لا يتوفر في المجتمعات الرأسمالية الليبرالية والسؤال الأكثر أهمية هنا هو لمن تعبر الجماعة عن غضبها بعدم العدالة في توزيع المصادر النادرة ؟

ألا يبدو واضحاً أن الجماعة تشتكي إلى الجهة التي تملك القوة والسلطة وبالتالي يمكن القول إنها تشتكي للجهة التي ظلمتها . أي أن هذه الجماعة تعبر عن شكواها للجهة نفسها التي تملك القوة والتي كانت سبب في عدم العدالة والتوازن في امتلاك المصادر النادرة .

وهنا يمكن القول أن السماح بعملية التنفيس التي تشمل بالضرورة الصراخ والعيول والمظاهرات والاضطرابات عبر القنوات التي يحددها المجتمع لا تحقق في نهاية المطاف شيئاً مادياً ملموساً بقدر ما تحقق تنفيساً وهذا يعني أن الإنسان خاسر في الحالتين لأنه في النهاية يجد نفسه مضطراً للرضوخ للواقع.

أن فكرة صمامات الأمان هذه تأتي عند كوزر متفقة مع فكرة التنفيس والكبت الذي رفعت لواءه الفرويدية " دعه ينفس عن المكبوت، دعه يصرخ ، دعه يعلن ، ما دام ذلك لن يغير من تدفق الأموال إلى خزائن الرأسمالية"<sup>(١)</sup>.

كما يبرز البعد الأيديولوجي لفكرة الصراع عند كوزر أيضاً من خلال تفسيره لفكرة الصراع الواقعي استناداً إلى المواضيع التي يدور حولها الصراع والتي تبرز كركيزة أساسية في تحديد مدى واقعية الصراع وتتعلق بأهداف ورغبات ممكنة التحقيق<sup>(٢)</sup>.

وعلى الجانب الآخر قد تكون المواضيع غير واقعية أو حقيقية وتتمثل في المواضيع التي تتضمن حاجة إلى تقليص توتر عام وهي عملية تنفيس من داخل النسق حتى لا تتراكم وتخرج في اتجاه واحد يكون لها تأثير مخرب للبناء الاجتماعي<sup>(٣)</sup>.

بناء عليه يمكن القول أن نظرية كوزر تتصف بالخداع والتضليل حيث يتضح زيف تلك النظرية في كونها لم تهتم بتقديم حل جذري (حسم الصراع) في إطار

د.السويطي الهادي صالح داعوب

الوظيفة التكاملية للصراع عند لويس كوزر

---

المجتمع الرأسمالي وهي بذلك تتبنى أيديولوجية تسعى من خلالها لتدعيم ذلك الوضع وتدعيم مصالح الطبقة المسيطرة .

## ملخص البحث :

بعد أن استعرضنا أهم عنصرين في نظرية الصراع عند كوزر نصل إلى صياغة ملخص لهذا الفصل وذلك على النحو التالي :

١- ترتبط فكرة الصراع وفقاً للرؤية الأحادية لكوزر بعدم قدرة أعضاء الجماعة على إشباع حاجاتهم المتعلقة بإعادة توزيع المصادر النادرة وحسب إغفال العوامل الأخرى.

بناء على ذلك فإن من أبرز ملامح هذه الظاهرة هي صدام المصالح بين الأطراف المشاركة في النزاع كنتيجة حتمية للتفاوت في امتلاك المصادر النادرة أي أن الصراع ينحصر وفق طرفين رئيسيين في المجتمع على اعتبار أن هناك فئة تملك هذه المصادر والأخرى محرومة منها . وأن العلاقة بين هذين الطرفين هي علاقة صراع يهدف على المصادر النادرة ، وإن كلا المجموعتين يشكلان المجتمع.

٢- وعلى الجانب الآخر نجده لا يعطي أهمية لهذا الاختلاف في البناء الاجتماعي بقدر ما يعطي أهمية للصراع الناتج عن هذا الاختلاف.

من هنا نجده ينظر إلى إمكانية توظيف هذه الظاهرة لخدمة تلك المجتمعات. على اعتبار أن هذه الظاهرة بنظره تزيد أكثر من أن تنقص عملية التكيف والتوافق في المجتمع. وإن عملية التغيير الاجتماعي هي نتيجة للصراع وحسب.

٣- ضمن هذا السياق يحاول كوزر أن يحصر وظيفة الصراع في تحقيق التوافق والتجانس في المجتمع وكذلك تخفيف العزلة الاجتماعية بين الجماعات بإنشاء علاقات مترابطة بين تلك الجماعات .

كما يسهم الصراع في إبراز الحدود بشكل واضح بين الجماعات المتنازعة. إضافة إلى عملية نشأة الجماعات من خلال شعور الجماعة بالمصلحة المشتركة التي

تجمعها من خلال ظاهرة الصراع وحسب. وتحقيق التكيف من خلال إفراز معايير جديدة أو تنشيط المعايير السائدة.

٤- وبالنظر إلى هذه النظرة الأحادية لوظيفة الصراع نستنتج البعد الأيديولوجي (النظرة الليبرالية) التي تبرز بشكل واضح وجلي في محاولته ربط وظيفة الصراع في تحقيق التوازن في البناء الاجتماعي بوجود قنوات تنفيس لمشاعر الغضب الناتجة عن عدم التوازن في العناصر المكونة للمجتمع . أي أن هذه القنوات تعمل كصمام أمان في المجتمع ولمنع القيام بثورة ضد الطبقة المسيطرة في المجتمع ومحاولة لإصلاح تصدعات النظام الرأسمالي إجمالاً نتيجة لما يظهر به من تناقضات . وهذا ما نلاحظه في اهتمام كوزر بالدرجة الأولى بالشكل الظاهري للصراع ولا يهتم بتشخيص الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة.

ومن هنا يمكن القول أن أفكاره كانت مبنية على ردود أفعالها والتي تتمحور في المشاكل الاقتصادية والسياسية التي كان يعانيها مجتمعة الأمريكي والتي شكلت في المحصلة نسيج أفكاره ، ولا سيما المشاكل الناتجة عن التصنيع والبيروقراطية ن وكذلك المشاكل الاجتماعية لعل أبرزها الحركات العنصرية (العلاقة بين البيض والسود) إضافة إلى ما يطغى على الأيدلوجيا الرأسمالية من شكل نفعي (برجماتي) محاولاً توظيف تلك الظاهرة لخدمة الطبقة المسيطرة لصالح الأنظمة الرأسمالية إجمالاً.

وأخيراً يمكن القول أن نظرية كوزر تتصف بالخداع والتضليل حيث أنها وقفت عاجزة عن الوصول إلى الأسباب الجوهرية لتلك الظاهرة كما أنها وقفت عاجزة عن تفسير حركة المجتمعات الإنسانية ، وإن عملية الخداع والتضليل تبرز بشكل



---

واضح وجلي في عملية معالجتها لتلك الظاهرة واستخدام الصراع كصمام أمان المجتمع.

## هوامش البحث

- (١) على الحوات ، علم اجتماع التنظيم المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ١٩٨٥ ص ١٢٢.
- (٢) عبد الرزاق حليبي، علم اجتماع التنظيم ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص: ١٦٥.
- (٣) المرجع نفسه ، ص: ١٦٥.
- (٤) محمود عودة ، علم اجتماع التنظيم، دار النهضة العربية ، بيروت، ب.ت ، ص: ١٠٨.
- (٥) انظر جراهام كينلوتش، تمهيد في النظرية الاجتماعية ، ت. محمد سعيد فرح ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص: ٢٧٨.
- (٦) أحمد طلعت البشبيشي ، الاقتصاد والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦ ، ص: ٧١.
- (٧) أنظر: محمد علي محمد ، تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ط(٢)، ٢٠٠٠، ص: ٤٣٠.
- (٨) المرجع نفسه ، ص: ٤٣٠.
- (٩) أنظر : أحمد طلعت البشبيشي، المرجع السابق ، ص: ٢١.
- (١٠) محمد عودة، المرجع السابق، ص: ١٠٩.
- (١١) جوناثان ترينر، بناء نظرية علم الاجتماع، ت. محمد سعيد فرح، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٩٩ ص: ١٤٧.
- (١٢) مرجع نفسه، ص: ١٤٦.

- (١٣) أحمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف مصر، ط(٢)، ١٩٨٩ ، ص: ١٦٧.
- (١٤) جوناتان ترينر، المرجع السابق ، ص: ١٩٣.
- (١٥) المرجع نفسه ، ص: ١٩١.
- (١٦) على الحوات، علم اجتماع التنظيم ، مرجع سابق ، ص: ١٢٢.
- (١٧) فادية عمر الجولاني، التغيير الاجتماعي دار الاصلاح للنشر السعودية ١٩٨٤، ص: ٨١.
- (١٨) آلان سيونجود، المرجع السابق، ص: ٣١٠.
- (١٩) جونتان ترينر، مرجع سابق ، ص: ١٦٢.
- (٢٠) جراهام ، كيلوتش، المرجع السابق، ص: ٢٧٧.
- ٢١) أحمد زايد ، المرجع السابق، ص: ١٦٧.
- (٢٢) آلان سوينجود، النظرية في علم الاجتماع، ت. السيد عبد العاطي السيد ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٠ ، ص: ٣١٠.
- (٢٣) محمد على محمد ، تاريخ علم الاجتماع، المرجع السابق ، ص: ٤٣٠.
- (٢٤) جراهام كينلوتش، المرجع السابق، ص: ٢٧٧.
- ٢٥) محمد نبيل جامع، المفتاح في علم الاجتماع، دار المطبوعات الجديدة الإسكندرية، ١٩٧٥، ص: ١٥٤.
- (٢٦) نفس المرجع ، ص: ١٥٤.
- (٢٧) جوناتان ترينر ، المرجع السابق ، ص: ١٩١.

- (٢٨) أحمد زايد ، المرجع السابق، ص: ١٦٨ .
- (٢٩) جوناثان ترينر ، المرجع السابق، ص: ١٩١ .
- (٣٠) أحمد زايد ، المرجع السابق ، ص: ١٦٧ .
- (٣١) جوناثان ترينر، المرجع السابق ، ص: ١٤٦ .
- (٣٢) المرجع نفسه . ص: ١٧٣ .
- (٣٣) آلان سيونجود، المرجع السابق ، ص: ٣١٠ .
- (٣٤) المرجع السابق، ص: ٣١٠ .
- (٣٥) عبد الباسط عبد المعطي، عادل الهواري، النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص: ١٣٧ .
- (٣٦) معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، دار الآفاق ، بيروت، ط(١)، ١٩٨٢ ، ص: ٤٥ .
- (٣٧) محمد فؤاد حجازي ، النظريات الاجتماعية ، النظريات الاجتماعية ، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط(١) ، ١٩٨٠ ، ص: ١٥٩ .
- (٣٨) رجب أبو دبوس، محاضرات في الفكر السياسي ، المنشأة العامة للنشر، ط(١) ، ١٩٨٥ ، ص: ٢٣٤ .
- (٣٩) محمود فؤاد حجازي ، النظريات الاجتماعية ، المرجع السابق ، ص: ١٥٧ .
- (٤٠) المرجع نفسه ، ص: ١٥٧ .